مجموعة قصص عالمية للأطفال



٩

دار الكتاب اللبنانى — دار الكتاب المصرى

بيروت - لبنان   القاهرة ج م ع

مجموعة قصص علمية للأطفال

٩

م. الكيلاني

صندوق العجائب

تصدرها
دار الكتاب اللبناني

١٩٧٩

صندوق العجائب

لا بُدَّ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ أَيُّها الأَطفالُ بِمدينَةِ بَغْدادَ ، الْمدينَةِ الْكَبيرَةِ الْموْجودَةِ في الْجَمْهورِيَّةِ الْعِراقِيَّةِ الْيوم . فَهِيَ عاصِمَةُ هَذِهِ الْجُمْهورِيَّةِ ، وأَكْبَرُ مَدينَةٍ فيها . وَلَها شُهْرَةٌ تارِيخيَّةٌ مَجيدَةٌ ، حَيْثُ كانَتْ عاصِمَةً لِلدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَقَدِ ازْدَهَرَتْ في أَيَّامِ الْخَليفَةِ هارونِ الرَّشيدِ وَفي عَهْدِ وَلَدِهِ الْخَليفَةِ الْمأمونِ . وَهِيَ تَقَعُ على نَهْرِ دِجْلَةَ ، وَتَشْتَهِرُ بِقُصورِها وَحدائِقِها الْغَنّاء ، وَبِالْجسورِ الضَّخْمَةِ ، الْمقامَةِ فَوْقَ هَذا النَّهْرِ ، الْعريضِ الَّذي يَنْبُعُ مِنَ الأَراضي التُّرْكِيَّةِ الْمُجاوِرَةِ .

في هذِهِ الْمَدينَةِ بِالذّاتِ ، عاشَ مَرَّةً أَحَدُ التُّجّارِ الأَغْنِياء ، وَكانَ صاحِبَ ثَرْوَةٍ عَظيمَةٍ لِدَرَجةٍ يَسْتَطيعُ مَعَها أَنْ يَرْصُفَ شارِعاً طَويلاً بِالنُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ وَالْفِضِّيَّةِ



الَّتي يَمْتلكُها . وَأسْبابُ غِنى هَـذا التّاجِرِ تَعُودُ إلى مَهارَتِهِ في تَعاطي أُمورِ ٱلبَيْعِ والشِّراء . وَحُسْنِ ٱسْتِقامَتِهِ في مُعامَلَتِهِ لِزُمَلائِهِ التُّجّارِ ، وَزَبائِنِهِ العَديدين . فَهُوَ في تَعامُلِهِ مَعَ النّاسِ يَتْبَعُ قاعِدَةً إقْتِصادِيَّةً أساسيَّةً . فلا يُنفِقُ الدّينارَ الواحِدَ ، إلّا عِنْدَما يَتأكّدُ بِأنَّهُ سَيَجْلِبُ لَهُ الرِّبحَ المَضْمونَ . لِهَذا ٱشْتَهَرَ هَذا الشَّخصُ بِكَوْنِهِ رَجُلَ أعْمالٍ مُمتازٍ .

لَمْ يَعِشْ هذا التّاجِرُ طَويلاً بَلْ ماتَ في حادِثِ غَرَقِ أَحَدِ المَراكِبِ التِّجارِيَّةِ ، الّتي كانَتْ تُسْتَخْدَمُ

فِي أَعْمالِ الْمِلاحَةِ فِي نَهْرِ دِجْلَةَ ، لِتَصِلَ مِنْهُ إِلى مِياهِ شَطِّ العَرَبِ ، حَيْثُ يَصُبُّ النَّهْرُ في الْخَليجِ العَرَبِيِّ عِنْدَ مَدينَةِ البَصْرَةِ الشَّهيرَةِ بِنَخيلِها وَتِجارَتِها الواسِعَة .

نَعَمْ ماتَ التَّاجِرُ الغَنِيُّ وَخَلَّفَ وَلَداً شابّاً يُدعى (فرحان) . فَوَرِثَ الوَلَدُ مالَ أَبيهِ بِأَكْمَلِهِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ أَبيهِ ماهِراً في الأَعْمالِ التِّجارِيَّة . بَلْ كانَ فَتًى غيرَ مُحِبٍّ لِلْعَمَلِ مُطْلَقاً . والسَّبَبُ في ذَلِكَ يَعودُ لِعَدَمِ تَنْشِئَتِهِ مِنْ قِبَلِ أَبيهِ ، النَّشْأَةَ الصَّحيحَةَ حَيثُ كانَ وَحيداً لَدَيْهِ ، فَاعْتادَ على التَّسامُحِ مَعَهُ في كَثيرٍ مِنَ الأُمورِ . فَنَشَأَ وَلَداً مُدَلَّلاً يَجِدُ بَيْنَ يَدَيهِ كُلَّ الذي يَحْتاجُهُ . وَإِذا احْتاجَ شَيْئاً وَلَمْ يَجِدْهُ حاضِراً ، فَإِنَّهُ يَبْكي وَيَصْرُخُ فَتُحْضِرُهُ لَهُ أُمُّهُ سَريعاً . وَإِذا عَجَزَتْ عَنْ ذَلِكَ أَرْسَلَتْ خَلْفَ أَبيهِ تَسْتَنْجِدُ بِهِ وَهُوَ في دُكّانِهِ ، كَي يُرْسِلَ ذاكَ الغَرَضَ الى وَلَدِهِ

بدونِ تأخيرٍ ، وإلّا فإنَّ الولَدَ سيظلُّ يبكي وتسوءُ صحَّتُهُ بسببِ كثرةِ البُكاء .

وكانَ (لِفرحانَ) خالٌ يُحبُّهُ كثيراً ، غيرَ أنّهُ يُريدُ أنْ تكونَ تربيتُهُ على غيرِ هذهِ الصّورةِ. لِذلكَ كانَ ينصحُ شقيقتَهُ أُمَّ (فرحانَ) بأنْ تُغيّرَ خطّتها هذهِ معَ ابنِها ، فلا تُكثرُ مِن تدليلِهِ كيلا تُفسدَ تربيتَهُ في كِبرِهِ ، وعِندئذٍ تندمُ على ذلكَ أشدَّ النَّدمِ . غيرَ أنَّ أُمَّ فرحانَ لمْ تُدركْ أهمّيَّةَ نصائحِ أخيها ، إلّا بعدَ أنْ ماتَ زوجُها واستلمَ فرحانُ أعمالَ المتجرِ مكانَهُ . فإذا بِها تُشاهدُ بأمّ عينِها كيفَ كانَ ابنُها عاجزاً عنْ تدبيرِ شؤونِهِ كلَّ العجزِ ، حيثُ لمْ يتدرَّبْ على يديْ والِدِهِ سابقاً .

وفي الواقِعِ ، لقدْ أغرى المالُ فرحانَ بِكثرتِهِ

لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ لَمْ يَجِدِ الدَّاعِيَ لِأَنْ يَقُومَ بِأَيِّ عَمَلٍ، يَدُرُّ عَلَيْهِ الرِّبْحَ بِمَا يُعَوِّضُ عَلَيْهِ الْمَصَارِيفَ الَّتِي يُنْفِقُهَا عَلَى الْأَقَلِّ. كَمَا أَنَّ وَالِدَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَادِرَةً عَلَى فَرْضِ رَغْبَتِهَا عَلَيْهِ، لِتَوْجِيهِهِ كَمَا يَجِبُ. فَقَدْ غَدَا عَصَبِيَّ الْمِزَاجِ، يَثُورُ لِأَدْنَى كَلَامٍ يُوَجَّهُ إِلَيْهِ وَيَعْتَبِرُهُ تَدَخُّلاً فِي شُؤُونِهِ الشَّخْصِيَّةِ. وَبِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، لَقَدْ سَدَّ فَرْحَانُ أُذُنَيْهِ أَمَامَ كُلِّ نَصِيحَةٍ وَسَارَ فِي طَرِيقِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، الْمُؤَدِّي إِلَى الْإِفْلَاسِ الْأَكِيدِ.

تَوَلَّعَ فَرْحَانُ بِالْأَسْفَارِ بِقَصْدِ النُّزْهَةِ وَالتَّفَرُّجِ عَلَى الْبِلَادِ. فَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. فَيُقِيمُ الْحَفَلَاتِ وَيُوَزِّعُ الْهَدَايَا عَلَى مَعَارِفِهِ وَأَصْدِقَائِهِ. ثُمَّ تَطَرَّفَ فِي إِسْرَافِهِ وَإِنْفَاقِهِ لِلْمَالِ بِدُونَ حِسَابٍ، حَتَّى تَوَصَّلَ الى دَرَجَةٍ كَانَ

يُسلّي رِفاقَهُ بِصُنعِ طائِراتٍ صَغيرَةٍ مِنْ وَرَقِ النُّقودِ، كالَّتي يَلعَبُ بِها الصِّبْيَةُ، وَتُطَيِّرُها في الْفَضاءِ وَهِيَ مَرْبوطَةٌ بِالْخيطانِ الطَّويلَةِ. كَما كانَ يَصوغُ مِنَ الْقِطَعِ الذَّهَبِيَّـةِ، الطُّيورَ ذاتَ الْأَشْكالِ الْمُخْتَلِفَةِ كالْبَطِّ وَالدُّيوكِ الْمُزَخْرَفَةِ بِالْجَواهِرِ، وَيُقدِّمُها هَدايا لِوُجَهاءِ الْبِلادِ الَّتي يَزورُها وَلِأَثْرِيائِها. وَظَلَّ صاحِبُنا (فَرْحانُ) سائِراً على هَذا الْمِنْوالِ، حتّى جاءَ الْيَوْمُ الَّذي اسْتَيْقَظَ فيهِ مِنْ غَفْلَتِهِ. فَحَسَبَ ما تَبَقّى مَعَهُ مِنْ كُلِّ ما يَمْلِكُهُ فَوَجَدَهُ كَما يَلي: أَرْبَعَةُ قُروشٍ و (قُنْبازٌ) واحِدٌ وَطَرْبوشٌ أَحْمَرُ وَحِذاءٌ زَحّافٌ (صَنْدَلٌ). وَلا شَيْءَ غَيْرَهـا. فَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطيعُ الْخُروجَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْبِسَةِ الَّتي تُسْتَعْمَلُ عادَةً داخِلَ الْمَنْزِلِ فَقَط. وَما إِنْ عَلِمَ رِفاقُهُ بِحالَتِهِ هَذِهِ حَتّى تَخَلَّوْا عَنْهُ كُلِّياً، حَيْثُ لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ ما يُفيدُهُمْ بِهِ. إِلّا أَنَّ أَحَدَهُمْ



أَرادَ أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ ، فَأَرْسلَ إِلَيْهِ صُنْدوقاً عتيقاً مَصْنوعاً مِنَ الْخَشَبِ وَمَنْقوشاً عَلَيْه هَذِهِ الْعِبارَة :

« إِحْزِمْ أَمْتِعَتَكَ ثُمَّ ارْحَل » .

فَخاطَبَ (فَرْحانُ) نَفْسَهُ قائِلاً :

« لَيْسَ لَدَيَّ ما هُوَ قابِلٌ لِلْحَزْمِ سِوى نَفْسي »

ثُمَّ أَلْقَى بِنَفْسِهِ داخِلَ الصُّنْدوق وَقَدِ اسْتَبَدَّ بِهِ الْيَأْسُ لِأَقْصى حَدٍّ .

لَمْ يَعْلَمْ (فَرْحانُ) أَنَّ هـذا الصُّنْدوقَ لَهُ صِفَةٌ سِحْرِيَّةٌ ، تَخْتَفي في الْقُفْلِ الْمُرَكَّبِ عَلى غِطائِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا جَلَسَ فيه ، لَعِبَتْ إِصْبَعُهُ في الْقُفْلِ



صُدْفَةً فَإِذا بِالصُّنْدوقِ يَتَحَرَّكُ الى أَعْلى مُتَهَيِّئًا لِلطَّيَرانِ . وَقَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ تَدْويرِ لِسانِ الْقُفْلِ الى الْخَلْفِ ، كَي يوقِفَ الصُّنْدوقَ ؛ كانَ هَذا الأَخيرُ قَدْ أَصْبَحَ بَينَ الْأَرْضِ وَالسَّماءِ ؛ وَفَرْحانُ في داخِلِهِ بِلِباسِهِ الشَّرْقِيِّ : الْقُنْبازُ عَلى جَسَدِهِ

وَالطَّرْبوشُ على رَأسِهِ بِشُرَّابَتِهِ السَّوْداءِ ، الْمُتَدَلِّيَةِ الى الْوَراءِ ، وَالصَّنْدَلُ في رِجْلَيهِ ، وَظَلَّ الصُّنْدوقُ الطّائِرُ يُتابِعُ طَريقَهُ حَسبَ اتِّجاهِ الرّيحِ الّذي كانَ يَهُبُّ نَحْوَ الشّمالِ ، حَتّى وَصَلَ في النّهايَةِ الى ما فَوْقَ الْأَراضي التُّرْكِيَّةِ . ثُمَّ رَكَدَتِ الرّيحُ قَليلاً فَأَخَذَ الصُّنْدوقُ يَهْبُطُ تَدْريجِيّاً حَتّى جاءَ الى مَكانٍ خالٍ مِنَ الْأَشْجارِ يَقَعُ وَسْطَ الْغاباتِ الصُّنوبَرِيَّةِ الْكَثيفَةِ . فَبَحَثَ (فَرحانُ) عَنْ مَخْبَإٍ أَمينٍ وَضَعَ الصُّنْدوقَ فيهِ ، ثُمَّ سارَ بِاتِّجاهِ الْمَدينَةِ الَّتي ظَهَرَتْ مَعالِمُها أَمامَهُ مِنْ بَعيدٍ . وَلَمّا ابْتَعَدَ قَليلاً ، شاهَدَ النّاسَ يَسيرونَ في الطُّرُقاتِ ، يَرْتَدُونَ نَفْسَ الطِّرازِ مِنَ اللِّباسِ الّذي يَرْتَديهِ أَي الْقُنْبازُ وَالطَّرْبوشُ وَالصَّنْدَلُ فَلَمْ يَرْتَبِكْ في مِشْيَتِهِ بَلْ أَدْرَكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْتَقَدٍ مِنْ أَجْلِ لِباسِهِ هذا مِثْلَما كانَ يَتَوَهَّمُ .



وَصلَ فَرْحانُ الى الْمدينَةِ التّي اتَّجَهَ نَحْوَها . فَشاهَدَ في طَرَفِها الشّرْقِيّ قَلْعَةً ذاتَ نوافِذَ عالِيَةٍ جِدّاً . فسارَ بِاتِّجاهِ الْقَلْعَةِ بِقَصْدِ التَّفَرُّجِ عَلَيها . فَالْتَقى بِامْرَأَةٍ مُسِنَّةٍ تَقودُ بِيَدِها طِفْلاً فَسَلَّمَ عَلَيها بِاحْتِرامٍ وَسَأَلَها قائِلا :

« لِمَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْقَلْعَةُ يا سَيّدَتي ؟ »

فَأَجابَتْهُ الْمَرْأَةُ قائِلَةً :

« إنّها تَخُصُّ ابْنَةَ مَوْلانا السُّلْطانِ حاكِمِ مِنْطَقَةِ (قونْيَةَ) الشّهيرَةِ بِغاباتِها وَحَمّاماتِها الْمَعْدِنِيَّةِ » .

ثُمَّ دَفَعَتْها ثَرْثَرَتُها الى مُواصَلَةِ الْحَديثِ مَعَ هذا الشّابِّ الْغَريبِ فَقالَتْ لَهُ :

« إنّ إِحدى الْمُنَجِّماتِ (النّورِيّاتِ) أَخْبَرَتْ هَذِهِ الأَميرَةَ أنّ الشّخصَ الّذي سَتَتَزَوَّجُهُ سَيُسَبِّبُ لَها

الْبُؤْسَ ؛ وَلَنْ تَسْعَدَ بِحَيَاتِها الزَّوْجِيَّةِ مُطْلَقاً . لِهَذا اعْتَزَلَتِ النَّاسَ وَأَقامَتْ في هذِهِ الْقَلْعَةِ كَيْ لا يَتَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنَ الِاقْتِرابِ مِنْها إِلّا إِذا كانَ أَبَواها الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ حاضِرَيْنِ مَعَها » .

وَجَدَ (فَرْحانُ) في كَلِماتِ مُحَدِّثَتِه ، الْقَدْرَ الْكافِيَ مِنَ الْمَعْلُوماتِ الَّتي تُمَكِّنُهُ مِنَ التَّصَرُّفِ بِحَسَبِ الْخِطَّةِ الّتي رَسَمَها لِنَفْسِهِ . فَعادَ الى الْغابَةِ وَأَخْرَجَ الصُّنْدوقَ السِّحْرِيَّ مِنْ مَخْبَئِه . وَرَكِبَ فِيهِ وَحَرَّكَ قُفْلَهُ ذاتَ الْيَمينِ فَطارَ بِهِ عالِياً الى أَنْ أَصْبَحَ فَوْقَ الْقَلْعَةِ . فَأَدارَ عِنْدَئِـذٍ لِسانَ الْقُفْلِ الى الشِّمالِ ، فَأَخَذَ الصُّنْدوقُ بِالْهُبوطِ شَيْئاً فَشَيْئاً فَوْقَ السَّطْحِ . وَهُناكَ خَبَّأَ الصُّنْدوقَ في أَحَدِ الْأَمْكِنَةِ ، وَعَمَدَ الى تَسَلُّقِ قَسْطَلِ الْمِياهِ الْمارِّ بِجانِبِ إِحْدى نَوافِذِ الْغُرْفَةِ الْخاصَّةِ بِالْأَميرَةِ .

وكانتِ الأميرةُ (فريدةُ) ، مستلقيةً على الديوانِ بجانبِ النافذةِ ، والنومُ يداعبُ جفنيها ، ويجعلها تستغرقُ في حلمٍ ممتعٍ . ولما اقتربَ فرحانُ منها وشاهدَ ما هيَ عليهِ منَ الجمالِ والفتنةِ ، لم يتمالكْ نفسه منْ تقبيلِها في جبينِها . فاستيقظتْ مذعورةً ، وقبلَ أنْ تأتيَ بأيّةِ حركةٍ أنبأها فرحانُ بأنّهُ نبيٌّ مرسلٌ منَ السماءِ ، لهدايةِ الأمّةِ التركيّةِ التي يحبُّها كثيراً . فصدّقتْهُ الأميرةُ (فريدةُ) ودعتْهُ الى الجلوسِ بجانبِها على الديوان . فأخذَ يسلّيها ببعضِ القصصِ الخياليّةِ ، مثلَ قصّةِ جنّيّةِ البحرِ ، والبجعاتِ المتوحشاتِ ، وعقدةِ الإصبعِ ، والآنسةِ لوزةَ وغيرِها .

سُرّتِ الأميرةُ بلقاءِ هذا الفتى المرحِ ، ونزلَ منْ قلبِها المنزلةَ الحسنةَ . ولمْ يغادرْ غرفتَها



عائِداً مِنْ حَيْثُ أَتى إِلاّ وَقَدْ نالَ مِنْهـا وَعْداً بِقَبولِها الزَّواجَ مِنْهُ ، دونَ غَيْرِهِ مِن الشُّبّان . كَما طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَ لِزِيارَتِها مَرَّةً ثانِيَـةً في يَومِ الْخَميسِ الْمُقْبِلِ ، حَيثُ يَكُونُ أَبَواها الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ مَوْجودَيْن . وَلَسَوْفَ تَعْرِضُ عَلَيهِما فِكْرَةَ زَواجِها هَذا ، وَإِنَّهُما سَيُسَرّانِ حَتْماً ، لِكَونِ ابْنَتِهِما سَتَتَزَوَّجُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ لِلتُّرْكِ بِصِفَـةٍ خاصَّةٍ . وَقَبْلَ أَنْ يَخْطُوَ الْخُطْوَةَ الأَخيرَةَ وَدَّعَتْهُ قائِلَةً : « إِيّاكَ أَنْ تَنْسَى أَنْ تَقُصَّ على الْمَلِـكِ وَالْمَلِكَةِ حِكاياكَ الشَّيِّقَـةَ ! فَأُمّي تُحَبِّذُ الْقِصَصَ الْجِدِّيَّةَ ، بَيْنَما والِدي يُحِبُّ النِّكاتِ الْمُضْحِكَةَ . »

فَأَجابَها فَرْحانُ وَهُوَ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ :

« لا تَقْلَقي يا أَميرَتي ! فَلَسَوْفَ أَبْـذُلُ كُلَّ جُهْدٍ لَدَيَّ مِنْ أَجْلِ نَيْلِ رِضائِها وَإِعْجابِها » .

وَكانَتِ الأَميرَةُ فَريدَةُ قَدْ أَعطَتْ خَطيبَها فَرْحان سَيْفاً مُرَصَّعاً بِالْجَواهِرِ . فَجاءَ بِالنِسْبَةِ إِلَيهِ كَنِعْمَةٍ هابِطَةٍ مِنَ السَّماءِ . فَقَصَدَ السوقَ توّاً ، وَباعَهُ لِيَحْصَلَ على الدَّراهِمِ اللاّزِمَةِ لاِبْتِياعِ الأَلْبِسَةِ الْجَديدَةِ الْمُلائِمَةِ لِهَذِهِ الْمُناسَبَةِ السَّعيدَةِ . ثُمَّ قَصَدَ الغابَةَ وَجَلَسَ مُنْفَرِداً بِنَفْسِهِ ، يُفَكِّرُ في صَوْغِ الْحِكايا الّتي سَيَقُصُّها على الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ ، في حُضورِ أَميرَتِهِ الْحَبيبَةِ . فَقَضى وَقْتاً غَيْرَ قَليلٍ ، وَهُوَ يُلاقي الصُّعوبَةَ في الوصولِ الى تَطْبيقِ إِحْدى الْحِكايا ، الّتي سَتَنالُ الإِعْجاب . حَيثُ أَنَّ مِثْلَ هَذا الْعَمَلِ لَيْسَ بِالْمَسْأَلَةِ السَّهْلَةِ . وَظَلَّ يُعالِجُ هَذا الْمَوْضوعَ بِكُلِّ اهْتِمامٍ ، حَتّى جاءَ يَوْمُ الْخَميسِ وَكانَ قَدْ تَوَصَّلَ إِلى تَرْتيبِ إِحْدى الْقِصَصِ الْمُلائِمَة .

وَكانَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ وَعُمومُ رِجالِ الْبَلاطِ

قَدْ حَضَروا لِتناوُلِ الشّاي ، عِنْدَ الأَميرَةِ فَريدَةَ وَهِيَ في تِلْكَ القَلْعَةِ الشّاهِقَةِ . وَهُناكَ اسْتَقْبَلَ فَرْحانُ مِنْ قِبَلِهِمْ اسْتِقْبالاً حارّاً ، حَيْثُ أَطْلَعَتْهُمُ الأَميرَةُ عَلى شَيْءٍ مِنْ قِصَّتِها مَعَ النَّبيِّ الْجَديد . ثُمَّ طَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مِنْ فَرْحانَ أَنْ يَقُصَّ عَلَيها إِحدى الْحَكايا ، الْمُتَضَمِّنَةِ لِبَعْضِ الْمُغامَراتِ الّتي تَتَعَشَّقُها وَقالَتْ تُخاطِبُهُ :

« أُريدُ شَيئاً مُثيراً لِلْحَماسِ ، وَجَذّاباً بِذاتِ الْوَقْتِ » .

فَأَرْدَفَ الْمَلِكُ قائِلا :

« شَيئاً جَديداً يَجْعَلُنا نَضْحَكُ وَنَتَسَلّى » .

فَأَجابَ فَرْحانُ الْمَلِكَ وَالْمَلِكَةَ قائِلاً :

« بِكُلِّ سُرورٍ يا صاحِبيِّ الْجَلالَة .. »

ثُمَّ جَلَسَ عَلى الدّيوانِ الْمُقابِلِ ، وَراحَ يَرْوي

الْقِصَّةَ الَّتي سَهِرَ مِنْ أَجْلِ إِعْدادِها عَدَدًا مِنَ اللَّيالي وَقال :

يُحْكى أَنَّ عُلْبَةَ الثِّقابِ ، كانَتْ مُعْجَبَةً بِنَفْسِها كَثيرًا ، وَتَفْتَخِرُ بِنُبْلِ الأَصْلِ الَّذي تَنْحَدِرُ مِنْهُ . فَأَجْدادُها حَسْبَما تَدَّعيهِ (عيدانُ الثِّقابِ الَّتي تَحْتَويها) ، تَعودُ الى أَعْظَمِ أَشْجارِ الصَّنَوْبَرِ النّابِتَةِ في الْغاباتِ التُّرْكِيَّةِ . وَكانَتْ عُلْبَةُ الثِّقابِ هَذِهِ ، مَوْضوعَةً عَلى الرَّفِّ في الْمَطْبَخِ بَيْنَ قَدّاحَةٍ تُسْتَخْدَمُ لِإِشْعالِ النّارِ (وَلّاعَة) ، وَبَيْنَ إِناءٍ مِنَ الْحَديدِ الْعَتيقِ (طَشْت) . وَراحَتْ عيدانُ الْكِبْريتِ تَرْوي لِلْقَدّاحَةِ وَالْإِناءِ الْحَديدِيِّ ، قِصَّتَها أَثْناءَ طُفولَتِها . فَذَكَرَتْ لَهُما كَيْفَ كانَتْ سَعيدَةً في حَياتِها يَوْمَ كانَتْ في الْغابَةِ . فَفي كُلِّ صَباحٍ وَفي كُلِّ مَساءٍ ، يُقَدَّمُ إِلَيْها الشّايُ الْمُرَكَّبُ مِنْ لَآلِئَ مُتَأَلِّقَةٍ يُسَمّيها

النّاسُ بِالنّدى . كما أَنَّ الشّمْسَ ، تُدْفِئُها بأَشِعّتِها بَيْنَما تَنْطَلِقُ العَصافيرُ ، مُغَرِّدَةً لَها أَحْلى الْأَغاريد . ثُمَّ تابَعَتْ عيدانُ الثِّقابِ قِصَّتَها قائِلَةً :

« لَقَدْ كُنّا أَغْنياء كَثيراً دونَ بَقِيَّةِ الْأَشْجارِ . فَقَدْ كُنّا نَرْتَدي أَلْبِسَتَنا البَرّاقَةَ ، طيلَةَ فَصْلَي الشِّتاء وَالصَّيْفِ مَعًا في حِينِ أَنَّ جَميعَ الْأَشْجارِ الْأُخْرى لا يَتَسَنّى لَها إِرْتِداء الأَلْبِسَةِ إِلّا خِلالَ الصَّيْفِ فَقَطْ ثُمَّ انْفَجَرَتِ الثَّوْرَةُ وَيا لَلْأَسَفِ ؛ وَكانَتْ سَبَبًا لِلْقَضاء على أُسْرَتِنا مِنْ قِبَلِ الْحَطّابينَ الّذينَ نَزَلوا بِتِلْكَ الأَشْجارِ النَّبيلَةِ تَقْطيعًا وَتَخْريبًا . فَكانَ نَصيبُ جَدِّنا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ أُعْطِيَ مَنْصِبَ صارٍ كَبيرٍ على ظَهْرِ أَحَدِ الْمَراكِبِ الشِّراعِيَّة ، التي مِنْ شَأْنِها الطَّوافُ بَيْنَ مُخْتَلَفِ المَوانِئِ العالَمِيَّة أَمّا بَقِيَّةُ الأَشْجارِ وَالأَغْصانِ ، فَقَدْ قُدِّرَ لَها أَنْ تُقَدَّمَ

ضحيَّةً في سَبيلِ إعطاءِ الدِّفْءِ والحَرارَةِ لِبَني الإنسانِ . وَهذا هُوَ السَّبَبُ الَّذي جعلَنا نوجَدُ هُنا فَوْقَ هذا الرَّفِّ ؛ بَدَلاً مِنَ البَقاءِ في الغابَةِ وَالاحْتِفاظِ بِأَصْلِنا المَجيد . »

بَعْدَ ذلِكَ تَقَدَّمَ الإناءُ الحَديدِيُّ العَتيقُ المَوْجودُ على رَفِّ المَطْبَخِ وَقالَ مُخاطِباً عُلْبَةَ الثِّقاب :

« إنَّ حياتي كانَتْ أَقلَّ مُغامَرَةً مِنْ حَياتِكِ أَيَّتُها العيدانُ ، المُسبّبَةُ لِإعطاءِ النَّارِ لِبني البَشَر . وَإنَّ كُلَّ الَّذي حَصَلَ لي ، هُوَ أَنَّني وُضِعْتُ على النَّارِ لِمُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ أُبعِدْتُ عَنْها نِهائِياً . مُنْذُ ذاكَ الوَقْتِ الَّذي قُدِّرَ لي فيهِ أَنْ أَظهَرَ لِلْوُجودِ . غيْرَ أَنّني أَشْعُرُ بِأَنّي أَحْتَلُّ مَكانَةً مُهِمَّةً جِدّاً في المَنْزِلِ . وَبَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ أَصْحابُ المَنْزِلِ مِنِ اسْتِعْمالي كَما يَشاؤونَ ، يُعيدونني الى مَكاني

مِنْ هَـذا الرَّفِ كَيْ أَتَجاذَبَ أَطْرافَ الْحَديثِ مَعَ رِفاقي بَقِيَّةِ الْأَدواتِ وَإِنَّ في هذا تَسْلِيَةً عَظيمَةً لي ، بِالرَّغمِ مِنْ أَنَّ أَحاديثَنا تَكادُ تَكونُ مَحْدودَةً وَمُتَشابِهَةً ، لِدَرَجَةٍ أَنَّها أَصْبَحَتْ تَحْتاجُ الى التَّنويعِ وَالتَّبْديل . وَإِنَّ لَنا الْعُذْرَ في هَذا لِكَوْنِنا مَحْبوسينَ جَميعنا هُنا في هَذا الْمَطْبَخِ الضَّيّقِ ، ما عَدا دَلْوَ الْماءِ الَّذي يَخْرُجونَ بِهِ أَحيانًا الى باحَةِ الْمَنْزِلِ . كَما أَنَّ سَلَّةَ الْخُضارِ ، تَجْلِبُ لَنا مَعَها بَعْضَ الْأَخْبارِ ، كُلَّما حُمِلَتْ الى السّوق . إِلاّ أَنَّ أَخْبارَها ، لَيْسَتْ على دَرَجَةٍ كافِيَةٍ مِنَ الثّقَةِ ، فَهِيَ غَيرَ مُجَرَّدَةٍ مِنَ الشُّبُهاتِ لِكَثْرَةِ ما يَعْلَقُ بِها مِنَ الْأَقْوالِ الْمُبالَغِ بِها ، وَالذُّيولِ وَالْحَواشي الزّائِدَةِ عَنْ أَصْلِها . وَالسَّبَبُ في هَذا أَنَّ سَلَّتَنا هَذِهِ مُغْرَمَةٌ لِدَرَجَةٍ بَعيدَةٍ ، في الْأُمورِ السّياسِيَّةِ ، الَّتي تَميلُ بِها في هَذا الاتّجاهِ غَيْرِ الْمَرْغوبِ فيهِ وَنَحْنُ هُنا نَفْتَرِضُ الْعَكْسَ

دائماً في الَّذي تَرْويه لَنا مِنَ الْوَقائِعِ وَالْأَحداث .

فَقالَتِ الْقَدّاحَةُ مُعَلِّقَةً عَلى حَديثِ الْإِناءِ الْحَديدي (الطشت) :

« لَقَدْ تَكَلَّمْتَ أَكْثَرَ مِنَ اللّازِمِ أَيُّها الطَّشْتُ الْعَتيقُ فَدعْنا نَحظى اللَّيْلَةَ بِوَقْتٍ مُمْتِعٍ بَدَلاً مِنْ هَذِهِ الثَّرْثَرَةِ غَيْرِ اللّازِمَة . »

ثُمَّ أَرْسَلَتِ الْقَدّاحَةُ لَهيبَها الْأَزْرَقَ الْمُضيءَ . فَقالَتْ أَعْوادُ الثِّقابِ مُعَقِّبَةً عَلى ذَلِك :

« نعمْ ، دَعونا نَتَحادَثُ لِنُقَرِّرَ مَنْ هُوَ الْأَكْثَرُ نُبْلاً فيما بَيْنَنا » .

فَانْبَرى إِبْريقُ الْفُخّارِ وَكانَ يُصْغي الى هَذا الْحَديثِ وَهُوَ قابِعٌ في الزّاوِيَةِ الكائِنَةِ خَلْفَ بابِ الْمَطْبَخِ ، وَقال :

« لماذا التَّحدُّثُ عَنْ أَصلِنا وَفصْلِنا بَيْنَما هُناكَ مجالاتٌ أُخرى لِلْحَديثِ والْمُنادَمَة . فَأَنا أقْترِحُ أَنْ يَرْوِيَ لَنا كُلُّ واحِدٍ قِصَّةَ حياتِه الَّتي لا تَخْلو مِنْ شَيْءٍ مُمْتِعٍ وَفَريدٍ دونَ شَكٍّ وَها أَنا أَبدَأُ قَبْلَكُمْ فَأَقولُ بِأَنَّني نَشَأْتُ في مَكانٍ ما مِنْ شَواطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ ، الَّذي لا يَبْعُدُ كَثيراً عَنِ الْمَناطِقِ الْجَبَلِيَّةِ الْمُحيطَةِ بِمَدينَةِ (صَنْعاء) عاصِمَةِ الْبِلادِ الْيَمَنِيَّة . وَعِنْدَئِذٍ صَرَخَ الصَّحْنُ الَّذي يَجْلِسُ الْإِبْريقُ الفَخّارِيُّ في وَسَطِه وَقالَ :

« يا لَها مِنْ بِدايَةٍ مُمْتازَةٍ . أَمّا أَنا فَقَدْ أَمْضَيْتُ فَتْرَةَ طُفولَتي بَيْنَ إِحْدى الْأُسَرِ الْمَعْروفَةِ بِهُدوئِها وَحُسْنِ تَرْتيبِ شُؤُونِها الْمَنْزِلِيَّة . فَالْأَثاثُ يُنَظَّفُ وَيُلَمَّعُ كُلَّ أُسْبوعَيْن . وَالسَّتائِرُ تُصْقَلُ وَيُعادُ تَرْتيبُها كُلَّ شَهْرٍ . أَمّا أَرْضُ الْغُرَفِ وَالصّالونِ فَتُغْسَلُ بِالْماءِ وَالصّابونِ كُلَّ أُسْبوعٍ . »

فتَدَخلّت المِكْنسَةُ في هَذِهِ المحادَثةِ وقالت تُخاطِبُ الصَّحْنَ :

« كمْ كانَ حديثُكَ شَهِيًّا يا هَذا ! فالْواحِدُ يَظُنُّ بِأنَّكَ تتكلَّمُ بِلِسانِ إحْدَى ربّاتِ البُيوتِ. »

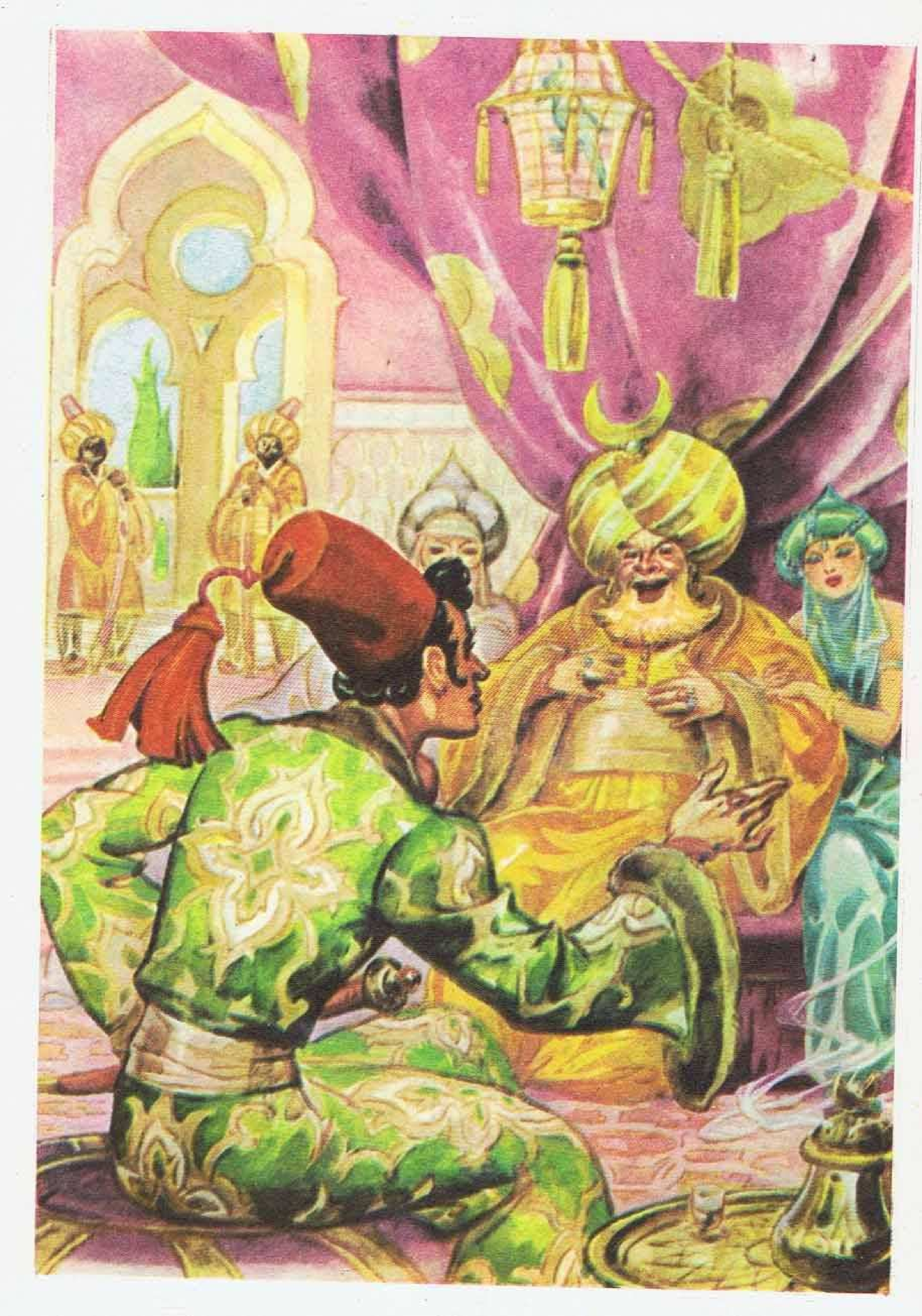
فأمَّنَ سطْلُ الْماء عَلَى قوْلِ المِكْنسَة :

« هذا صَحيحٌ . فحَديثُكَ كُلُّهُ عَنِ النَّظافَةِ والتَّنْظِيفِ ... »

وهُنا قفزَ سطْلُ الْماء مسْروراً مِنْ هَذا الإكْتِشافِ. فإذا بِالْماء يَنْسَكِبُ مِنْهُ على الأرْضِ . ثُمَّ تابَعَ إبْريقُ الفُخّارِ يرْوي قِصَّتَهُ الَّتي جاءَتْ نِهايَتُها مُمْتِعَةً بقَدرِ بدايَتِها . وعِندَئِذٍ سحَبَتِ المِكْنسَةُ بَعْضَ العِيدانِ مِنْ قشّها كيْ تُتَوِّجَ بِها إبْريقَ الفُخّار مُكافَأةً لَهُ . فَغضِبَتْ أَدواتُ المَطْبَخِ الأُخْرى ،

كَيْ لا تَضْطَرَّ إلى مُجاراةِ الْمِكْنَسَةِ في عَمَلِها هذا . غَيْرَ أَنّها هَدَأَتْ بَعْدَ قَليلٍ وَهِيَ تَتَحادَثُ فيما بَيْنَها ؛ بِأَنَّها إذا ساهَمَتِ الواحِدَةُ مِنْها الآنَ في مُكافَأَةِ إبْريقِ الْفُخّارِ على حُسْنِ حِكايَتِهِ ، فَإِنَّ هذا الإبْريقَ سَيُقابِلُها بِالْمِثْلِ أَيْضاً ؛ في مُناسَبَةٍ أُخْرى .

وَهُنا جاءَ دَوْرُ الْمَلاقِطِ فَشَرَعَتْ بالرَّقْصِ . فَأَخَذَتْ تَرْفَعُ سيقانَها كما لَوْ كانَتْ راقِصاتِ (الْباليه) بَيْنَما كانَتْ أَغْطِيَةُ الْكَراسي الْعَتيقَةُ ، تَنْفَجِرُ ضاحِكَةً . فَطَلَبَتِ الْمَلاقِطُ الْحَديدِيَّةُ عِنْدَئِذٍ أَنْ تُكافَأَ على حُسْنِ أَدائِها لِرَقْصاتِها . فَتَضَجَّرَتْ أَعْوادُ الثِّقابِ مِنْ أَقْوالِ الْمَلاقِطِ وَاعْتَبَرَتْها غَيْرَ مُسْتَساغَةٍ ؛ وَطَلَبَتْ مِنْ إبْريقِ الشّاي الْمُعَلَّقِ في جانِبِ الرَّفِّ الأَسْفَلِ ، أَنْ يُطْرِبَ الْحُضورَ بِبَعْضِ أُغْنِياتِهِ ؛ فَاعْتَذَرَ إبْريقُ الشّاي عَنْ ذلِكَ بِسَبَبِ



أَنَّهُ مُصابٌ بالزُّكامِ . وَلَقَدْ كانَ هَذا مُجَرَّدَ حُجَّةٍ مُصْطَنَعَةٍ ؛ حَيْثُ إِنَّهُ يُحِبُّ دَوْماً إِسْماعَ غِنائِهِ لِلضُّيوفِ في كُلِّ مَرَّةٍ تَمْتَلِئُ بِهِمُ الصَّالَةُ الْكُبْرى .

وَفي هَذِهِ اللَّحْظَةِ فُتِحَ بابُ الْمَطْبَخِ بَغْتَةً وَدَخَلَتِ الْخادِمَةُ . فَصَمَتَ الْجَميعُ عَنِ الْكَلامِ كَيْ يُراقِبوا ما سَتَصْنَعُهُ الْخادِمَةُ . فَإِذا بِها تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الرَّفِّ ، وَتَتَناوَلُ عُلْبَةَ الثِّقابِ وَتُشْعِلُ بِإِحْدى عيدانِها الْمَوْقِدَ . فَأَضاءَ عودُ الثِّقابِ لَحْظَةً واحِدَةً ثُمَّ تَلاشى وَهُوَ يَقولُ :

« لِيَتَفَرَّسْ كُلُّ واحِدٍ مِنّا جَيِّداً لِيَرى كَيْفَ أَنَّنا نُؤَدّي عَمَلاً هاماً جِدّاً بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لا يَبْقى مِنّا بَعْدَ قَليلٍ سِوى ذَرّاتٍ صَغيرَةٍ مِنَ الرَّمادِ الْأَسْوَدِ . »

سُرَّ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ مِنْ قِصَّةِ فَرْحانَ كَثيراً وَلَمْ يَنْفَضَّ مَجْلِسُهُما إِلّا وَقَدْ تَمَّ عَقْدُ قِرانِهِ عَلى ابْنَتِهِما الْأَميرَةِ (فَريدَةَ) ، وَحَدَّدا مَوْعِداً لِعُرْسِهِما .

وَفي مَساءِ يَوْمِ الْعُرْسِ ، أُنيرَتْ مَدينَةُ (قونْيَةَ) بِالْمَشاعِلِ وَالأَنوارِ . ثُمَّ صَعِدَ الأَميرُ فَرْحانُ الى صُنْدوقِهِ بَعْدَ أَنْ حَشاهُ بِالصَّواريخِ النّارِيَّةِ ، وَطارَ بِهِ فَوْقَ سَماءِ الْبَلْدَةِ وَراحَ يُطْلِقُ الصّاروخَ بَعْدَ الآخَرِ لِيَزيدَ مِنْ رَوْعَةِ الزّينَةِ ، الَّتي شَمَلَتْ عُمومَ أَرْجاءِ الْمَمْلَكَةِ وَبَهْجَتِها ، حَيْثُ كانَتِ النُّجومُ الضَّوْئِيَّةُ الصَّغيرَةُ ، تَتَناثَرُ مِنَ الْفَضاءِ ، وَهِيَ مُلَوَّنَةٌ بِشَتّى الأَلْوانِ الْمُتَأَلِّقَةِ . فَكانَ النّاسُ في الشَّوارِعِ ، يَقْفِزونَ فَرَحاً وَطَرَباً فَتَتَطايَرُ الصَّنادِلُ مِنْ أَرْجُلِهِمْ مِنْ جَرّاءِ ذَلِكَ . وَعِنْدَما عادَ فَرْحانُ الى الْبَلْدَةِ بَعْدَ أَنْ خَبَّأَ صُنْدوقَهُ السِّحْرِيَّ في الْغابَةِ ، أَيْقَنَ النّاسُ أَنَّهُ لَيْسَ شَخْصاً عادِيّاً مِثْلَهُمْ وَإِنَّما هُوَ نَبِيٌّ حَسَبَ دَعْواهُ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أَنْ شاهَدوا إِنْساناً يَطيرُ في الفَضاءِ عَلى هَذِهِ الصّورَةِ . وَقَدْ سُرّوا بِهَذا الأَمْرِ ، وَراحوا يُبارِكونَ لِلأَميرَةِ بِعَريسِها الَّذي أَحَبّوهُ مِنْ صَميمِ قُلوبِهِم .

أَمَّا الْمفاجَـأَةُ غَيْرُ السَّارَّةِ الَّتي حَصَلَتْ في عَقِبِ ذَلِـكَ ، فَهِيَ أَنَّ الْأَميرَ فَرحانَ عِندَما ذَهَبَ لِلْغـابَةِ لِيَستَقِلَّ الصُّنْدوقَ وَيَصْعَدَ بِهِ الى قلعَةِ الْأَميرَةِ عَروسَتِهِ؛ لَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهِ في الْمكانِ الَّذي خَبَّأَهُ فيهِ. فَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ بَعْضُ الفِئْرانِ الْبَرِّيَّةِ، وَتَسَبَّبَتْ في إِشْعالِ الصَّواريخ النّارِيَّةِ الَّتي بَقِيَتْ في داخِلِهِ . الْأَمْرُ الَّذي سَبَّبَ احْتراقَ هَذا الصُّنْدوقِ الْمَصْنوعِ مِنَ الْخَشَبِ. فَعَجَزَ فَرْحانُ عِنْدَئِذٍ عَنْ إِثْباتِ نُبُوَّتِـهِ ، بِالْعَوْدَةِ الى سطحِ الْقَلْعَةِ على ظَهْرِ صُندوقِهِ ، الَّذي كانَ الْعامِلَ الْأَوَّلَ في وُصولِهِ إِلى الْأَميرَةِ (فَريدَةَ)، مِنْ جِهَةٍ ثُمَّ إِلى إِيهامِ النّاسِ



بِقُوَّتِهِ الْخارِقَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرى ، وَكانَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ لا يَزالانِ فَوْقَ تِلْكَ الْقَلْعَةِ يَنْتَظِرانِ مَعَ ابْنَتِهِما ، عَوْدَةَ الْعَريسِ الشّابِّ إِلَيْهِم ؛ وَلٰكِنْ بِدونِ جَدْوى . فَقَدْ تابَعَ هٰذا الْعَريسُ طَريقَهُ داخِلَ الْغابَةِ ، مُتَنَقِّلًا مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ وَهُوَ يُحَدِّثُ النّاسَ الْحَكايا وَالطَّرائِفَ ؛ وَلٰكِنْ دونَ أَنْ يَتَجاسَرَ عَلى إِخْبارِ أَحَدٍ بِقِصَّتِهِ الْحَقيقِيَّةِ الَّتي جَرَتْ لَهُ مَعَ أَميرَتِهِ الْجَميلَةِ . وَذٰلِكَ خَشْيَةَ الِاسْتِهْزاءِ بِهِ وَعَدَمِ تَصْديقِهِ .

مطابع
دار الكتاب اللبناني

مجموعة قصص علمية للأطفال

صندوق العجائب
البجعات المتوحشات
عقدة الأصبع
ذات القبعة الحمراء
الجمال الناعس
سندريلا
جنية البحر الصغيرة
القداحة العجيبة
أزهار سوسو
الأمير الصغير
الاقحوانة الصغيرة
الألبسة الجديدة
للدوق الكبير
الزهرة والعصفور
العندليب صديق الامبراطور
بستان الاحلام

فيروزة بائعة الكبريت قسم أول
» » » ثاني
حديقة سوزي
اسبوع الفا الصغيرة
مغمضة العينين
تفنوفة وقصص أخرى
أصوات الغابة وقصص أخرى
زاهي وناهي » »
بياع الطرابيش » »
النملة والبرغوث » »
الحمار في العرس » »
الأخوات الثلاث » »
نادرة والسمكة » »
اقمشة من نور
خيّاطة الشتاء وعمالها
الفتاة والتنين